الحجاب

كثر التحدث في الشرق عن الحجاب والسفور وتناولت المجلات والجرائد هذا الموضوع باهتمام وانقسم الكتاب الى فريقين : فريق يحبذ الحجاب وينادي بتأييده ويضيف الى ذلك نداءه بالويل والثبور وعظائم الامور من أضرار السفور واختلاط الجنسين وفريق يعد الحجاب حاجزاً منيعاً يحول دون رقيّ المرأة وانه يبقيها أسيرة حلول أيام حياتها بل يبقيها وهي متحجبة هدفاً لتوجيه الانظار اليها ومحاولة الناظرين خرق هذا الحجاب ورؤية الوجه المحجوب ؛ وفي ذلك يقول الشاعر العربي :

حجبوك عن مقل الانام مخافة من أن تخدّش خدك الأنظار
فتوهموك ولم يروك فأصبحت من وهمهم في خدك الآثار

وبلغ الكلام أشده عن الحجاب بعد أن أسرت الجمهورية التركية (وهي دولة الخلافة سابقاً وحامية حمى الدين) بالسفور وعاقبت كل عقيلة وآنسة وفتاة وعجوز تخرج متحجبة وعدّ كثيرون عملها هذا هادماً للشرف داعياً للرذيلة وانتشار الفساد

وأما في مصر فكان أول من نادى بالسفور المرحوم قاسم بك أمين وقد دافع عنه في كتابين أصدرهما في مصر وكان لظهورهما ضجة كبرى . ونادى رحمه الله بالسفور ولكنه لم يعمل بندائه فان زوجته لبثت متحجبة وحاول كثيرون اذ ذاك زيارتها ومجالستها فلم يفلحوا ولم يسمح زوجها بذلك ثم قام بعده عبدالحميد بك حمدي ونادى بالسفور بكل ما أوتي من قوة ومضاء عزيمة وأصدر لذلك جريدة « السفور » وكتب فيها مقالات عديدة ووجد له بعض الانصار عضدوه في آرائه ومع هذا فقد كانت ولم تزل زوجة حمدي بك من أشد النساء تحجباً فقد كان حضرته جاراً لي بمصر الجديدة وما رأيت زوجته خرجت مرة وهي سافرة بل كانت ولا تزال تحجب وجهها بالبرقع

ثم قامت بعد ذلك السيدة هدى هانم شعراوي وهي من جميلات النساء ونبيلاتهن وسفرت وجهها وخرجت في الشوارع وهي سافرة وتسافر كل عام الى اوربا للمطالبة

بحقوق النساء وتلقي الخطب هناك في المؤتمر النسائي . وتقابل كبار الحكام وغير ذلك

السيدة هدى هانم شعراوى

ثم قامت بعدها الآنسة الجريئة منيرة ثابت المصرية المسلمة وارتدت الزي الافرنجي النسائي كما ارتدت القبعة على رأسها وهي من المشتغلات بالمسائل السياسية في مصر وأصدرت جريدتين للدفاع عن حقوق مصر بكل جرأة وشجاعة حتى عدت من المتطرفات في مبادئها السياسية وفي مقالاتها الحادة وهي تعد من أشد انصار الوفد المصري ومن يطالع جريدتيها الامل العربية وشقيقتها الاسبوار الفرنسية يعجب

تلك المرأة التي تتخلل مقالاتها المكتوبة بأحرف من نار وقد أقبل الاجانب في مصر على مطالعة جريدتها الاسبوعية الفرنسية وكل معجب بهذه الآنسة المصرية وجرأتها النادرة . رأيتها مراراً وجلست بالقرب منها في جلسات نقابة الصحافة فرأيتها وضاحة الجبين صبوحة الوجه مشرقته ذات صوت عذب رنان اذا تكلمت فتنت واذا تحدثت سلبت وجذبت اليها سامعها وجعلته يرجه اليها سمعه ليستوعب حديثها وهي رزينة في مجلسها شديدة العارضة يحجبها وقوة برهانها وهي فوق جرأتها السياسية جريئة أيضاً بالدفاع عن حقوق المرأة المصرية تعمل لرفع مستواها الى المكان اللائق بها

* * *

ان الحجاب قديم العهد جداً في الشرق والغرب على السواء وكانت النساء الروسيات قبل عهد بطرس الاكبر من أشد النساء تحجباً لا يسمح برؤيتهن حتى لأقرب أقربيهن فأزال بطرس الاكبر الحجاب من البلاد وحرر المرأة من التحجب وقد كتبنا بذلك مقالة ضافية في أحد أعداد الاخاء في السنة الثانية . ونساء الفرس كن يتحجبن قبل ظهور الاسلام ولما جاء الاسلام حجب المرأة وجاء في دائرة معارف وجدي ما يأتي : وقد عدت دائرة معارف لاروس الفرنسية العرب من الامم التي كانت عادة الحجاب متأصلة فيها من القدم وهو أمر يتبادر الى الذهن في أمة كان رجالها يتلثمون بطرفي الكوفية . ولكن يظهر أن ساقطات النساء من العرب كن يسفرن للرجال ويتبرجن فيحدث من ذلك اختلاط معيب بين الجنسين فنزلت آيات كريمة في القرآن تحث على عدم التبرج منها قوله تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية » ثم قال تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن (أي يميزن عن الاماء والقينات) فلا يؤذين (أي فلا يؤذين بالتعرض لهن) وكان الله غفوراً رحيماً » اه

* * *

ثم أن رجال الدين المسيحي كانوا في صدر المسيحية وأوائلها يأمرون النساء بالدخول الى الكنائس وهن خافضات العيون علامة التواضع والخضوع والخشمة والوقار وينصحوا لهن باسدال حجاب على وجوههن لأنهن بذلك يبتعدن عن أباطيل العالم

ويتجردن عن الفتنة وعن اجتذاب الرجال للسجود بجمالهن وبوجهن قلوبهن وأفكارهن للصلاة . وكان وقت منع فيه رجال الدين بفرنسا دخول النساء الكنائس الا اذا

غطين وجوههن بحجاب كما نرى في الرسم المأخوذ من عهد بعيد وفي عام ١٦٥٠ منعت جميع النساء من دخول الكنائس المسيحية في أوربا الا اذا غطينا رؤوسهن بحجاب يسدله حتى صدورهن كما نرى في رسم المرأة المرسوم الى اليمين .

وفي عام ١٨٠٠ ما كانت الكنائس المسيحية تسمح للنساء بدخول الكنائس في أوربا الا اذا أسدلن على وجوههن حجاباً طويلا كانت النساء يصنعنه من النطاريف (الدانتلا) المزركشة بخطوط سوداء كما نرى في الرسم بعد ومنعت كنائس اسبانيا النساء من دخول الكنائس الا اذا وضعن على رؤوسهن حجاباً يسدله حتى آخر صدورهن كما نرى في الرسم المأخوذ من عهد بعيد .

وفي عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦ لما رأت الكنائس المسيحية بمصر ذهاب النساء في البرج وتعرية الصدور والأذرع (ديكولتيه) وتوغلن فيه توغلا معيباً وكان حضورهن

الى الكنائس على تلك الصورة فتنة للرجال والشبان أصدرت كنيسة الروم الكاثوليك منشوراً تحذر فيه النساء من الحضور الى الكنيسة بلباس الديكولتيه وأنها تمنع كل امرأة متبرجة من دخول الكنيسة ونفذت كلامها وحذت حذوها الكنيسة القبطية وكان لعملها هذا رنة استحسان في جميع أنحاء البلاد وقوبل من العقلاء بالشكر والامتنان

الحجاب الاسباني حجاب عام ١٨٠٠

وأما النساء ولا سيما في مصر وتركيا (من قبل) فقد تفننن في حجاب الوجه حتى جعلنه شفافاً لدرجة انه لايخفي شيئاً ولا يحجب وجهاً ولا ابتساماً وأما النساء الغربيات فقد أبدعن في التفنن حتى جعلن حجاب الوجه غاية في الاناقة والخفة حتى غدا مغنطيساً يجتذب اليه أنظار الرجال

وفي القرن الخامس عشر سرى في المودة حجاب طويل جداً يغطي الجبهة والخدين والذقن والعنق وجزء الصدر الاعلى . وفي عام ١٨٠٠ ظهر في سوق المودة حجاب يلبس فوق قبعة صغيرة مزينة بالريش والشريط الملون الحريري وامتاز هذا الحجاب عن غيره بأنه كان يصنع من التطاريف المصنوعة باليد وكان يصل الى الارض

فتصبح لابسانه يشبهن الراهبات وكان هذا الحجاب غالي الثمن ولكن مع مرور الزمن بطل في أوربا استعمال الحجاب تدريجاً ولكنهم يستعملونه للعرائس فقط ويتخذ من نسيج ابيض شفاف بزيد العروس رونقاً وبهاء وتستعمل النساء الاروبيات الحجاب الاسود للحداد ولكن الارامل وبناتهن تفنن جداً في تزويق الحجاب الاسود واناقته حتى جعلنه هدفاً تتوجه اليه الابصار وتتطاول اليه الاعناق وبعد هذا نورد أقوال بعض الفلاسفة وقادة الافكار بشأن المرأة وحقوقها ليستخلص القارىء الكريم من ذلك ما يوافق مبدأه وأميالة . قال الفيلسوف الاشتراكي برودن في كتابه « ايجاد النظام » في تعليل سبق الرجل للمرأة في ميدان الاعمال « أن نسبة مجموع قوى الرجل الى مجموع قوى المرأة كنسبة ثلاثة الى اثنين فيكون التحرير الذي يطلبه بعضهن باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلا قانونياً أن لم أقل تسجيل العبودية »

وقال العلامة أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع البشري في كتابه « النظام السياسي »: ان نال النساء هذه المساواة المادية التي يتطلبها لهن من يزعمون الدفاع عنهن بغير رضائهن فان ضمانهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الادبية لانهن في تلك الحالة سيكن خاضعات في أغلب الصنائع لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهن القيام بها كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة

وقال جول سيمون « صار النساء الآن تاجرات وطباعات الخ الخ . وقد اتخذتهن الحكومة في معاملها وقد يكسبن بعض دريهمات ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضاً »

وجاء في دائرة معارف لاروس بعد ذكرها ان خراب مدينة رومية انما جاء من انطلاق النساء مع الاهواء قالت : « وفي هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التي يتمتع النساء بحرية مفرطة نرى ان دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذي يحملهن دائما على الاشتغال بجمالهن وبكل ما يزيد حسنهن كل ذلك أكثر خطرا وهولا مما كانت عليه الحالة في رومية »

وقال الفيلسوف تولستوي « على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان ، بل يحجبها في البيت والبيت دائرة حرية واسعة للمرأة » وختم هذه السطور بمثل روسي وهو . لا تركن الى الفرس في الغيط واركن للمرأة في البيت

هذا ما عن لنا كتابته في هذا الموضوع الخطير فليستخرج منه القراء الحكم العادل